١١

رسالة

عباد بن عباد الخواص

بين (١٨١ ـ ١٩٠هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وفيها:

الوصية بالتمسك بالكتاب والسنة
وما كان عليه سلف الأمة
والتحذير من البدع وأهلها

التعريف بصاحب الرسالة

الاسم: عبَّاد بن عبَّاد الرملي الأرسوفي الخواص الشامي. وهو فارسي الأصل.

الكنية: أبو عتُبة.

الوفاة: وفاته ما بين (١٨١ ـ ١٩٠هـ).

ثناء العلماء عليه:

قال أحمد بن عبد الله العجلي: ثقة رجل صالح.

وقال أبو حاتم: من العُبَّاد.

وقال يعقوب بن سفيان: كان من الزُّهاد والعُبَّاد، ثقة.

قال المزي: كان من فُضلاء أهل الشام وعُبَّادهم، وكتب إليه سفيان الثوري الرسالة المشهورة في الوصايا والآداب والحكم والأمثال والمواعظ.اهـ.

قلت: تقدم ذكرها في اعتقاد سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

مصادر الترجمة:

«الجرح والتعديل» (٦/ ٨٣)، و«تهذيب الكمال» (١٤/ ١٣٤).

مجمل الرسالة:

الحرص على اتباع السُّنة وآثار السَّلف الصالح والعمل بها، والدعوة إليها، والنهي عن اتباع أهل البدع في بدعهم والتحذير منها.

والنهي عن اتباع الرَّأي وتقديمه على فقه سلف الأمة وعلماء السُّنة، واتهام رأينا إذا خالف رأيهم.

والتحذير مما وقع فيه كثير من الناس من الغيبة والنميمة والمشي بين الناس بوجهين ولسانين.

والحث على التمسك بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، والعمل بهما، ونصح الأمة بذلك وتحذيرهم من مخالفتهما.

ووصف الزمان الذي أدركه من قِلَّة العلماء وأهل الورع.

والتحذير من آخر الزمان لما فيه من قِلَّة العلم، واشتباه الحق بالباطل، واتباع المتشابه.

مصدر الرسالة:

استخرجت هذه الرسالة من كتاب «مسند الدارمي» (٦٧٥).

واعتمدت في إخراج هذه الرسالة على نسخة خطية لهذا الكتاب، ثم قابلتها بنشرة دار المغني عام (١٤٢١هـ).

وقد رواها كذلك أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٨٢)، والمزي في «تهذيب الكمال» (١٤/ ١٣٥) بإسناده.



قال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «سننه»:

(رسالة عباد بن عباد الخواص الشامي)

أخبرنا عبد الملك بن سليمان أبو عبد الرحمٰن الأنطاكي، عن عبَّاد بن عبَّاد الخواص الشامي أبي عتبة قال:

أما بعد،

١ - اعقلوا والعقل نعمة، فرُبَّ ذي عقلٍ قد شغلَ قلبه بالتعمُّقِ عما هو عليه ضررٌ عن الانتفاع بما يحتاج إليه حتى صار عن ذلك ساهيًا.

٢ - ومن فضل عقلِ المرء: تركُ النظر فيما لا نظرَ فيه حتى لا يكون فضل عقله وبالًا عليه في ترك مُنافسةِ من هو دونه في الأعمال الصَّالحة.

أو رجلٍ شغلَ قلبَهُ ببدعةٍ قلَّد فيها دينه رجالًا دون أصحاب رسول الله ﷺ.

أو اكتفى برأيه فيما لا يرى الهُدى إلَّا فيها ولا يرى الضَّلالة إلَّا بتركها.

يزعم أنه أخذها من القرآن وهو يدعو إلى فِراق القرآن.

٣ - أفما كان للقرآن حملةٌ قبله وقبل أصحابه يعملون بمحكمه ويؤمنون بمتشابهه؟ وكانوا منه على منارٍ كوضح الطريق، فكان القرآن إمامَ رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ إمامًا لأصحابه، وكان أصحابه أئمةً لمن بعدهم، رجالٌ معروفون منسوبون في البلدان، مُتفِقون في الردِّ على أصحاب الأهواء، مع ما كان بينهم

من الاختلاف، وتسكُّع[١] أصحاب الأهواء برأيهم في سُبُل مُختلفةٍ جائرةٍ عن القصد مُفارقةٍ للصراطِ المستقيم، فتوَّهَت بهم أدلَّاؤهم في مهامِهَ مُضلَّةٍ فأمعنوا فيها متعسِّفين في تيههم.

٤ ـ كلما أحدث لهم الشيطان بدعةً في ضلالتهم انتقلوا منها إلى غيرها؛ لأنهم لم يطلبوا أثر السَّابقين، ولم يقتدوا بالمهاجرين.

وقد ذُكر عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال لزيادٍ: هل تدري ما يهدم الإسلام؟ زلةُ عالمٍ، وجدالُ منافقٍ بالقرآن، وأئمةٌ مضلون.

٥ ـ اتقوا الله وما حدث في قُرَّائكم وأهل مساجدكم من الغيبة والنميمة، والمشي بين الناس بوجهين ولسانين، وقد ذُكِر أن من كان ذا وجهين في الدنيا كان ذا وجهين في النار.

يلقاك صاحب الغيبة فيغتاب عندك من يرى أنك تُحب غيبته ويُخالفك إلى صاحبك فيأتيه عنك بمثله، فإذا هو قد أصاب عند كلٍّ واحدٍ منكما حاجته، وخفي على كلِّ واحدٍ منكما ما أتى به عند صاحبه.

حُضورُه عند من حضرَهُ حُضور الإخوان، وغيبتُه عن من غاب عنه غيبةُ الأعداء، من حضر منهم كانت له الأثرةُ، ومن غاب منهم لم تكن له حُرمة، يفتِنُ من حضره بالتزكية، ويغتاب من غاب عنه بالغيبة.

فيا لعباد الله أما في القومِ من رشيدٍ ولا مُصلحٍ يقمع هذا عن مكيدته ويرُدُّه عن عِرض أخيه المسلم؟ بل عرف هواهم فيما مشى به إليهم فاستمكن منهم وأمكنوه من حاجته، وأكل بدينه مع أديانهم.

(١) التسكع: التخبط. يقال: تسكع، إذا مشى لا يدري أين يذهب.

٦ ـ فالله الله ذُبّوا عن حُرم أعيانكم، وكفوا ألسنتكم عنهم إلَّا من خيرٍ، وناصِحوا الله في أُمتكم إذ كنتم حملة الكتابِ والسُّنة، فإن الكتاب لا ينطقُ حتى يُنطق به، وإن السُّنة لا تعمل حتى يعمل بها، فمتى يتعلَّمُ الجاهل إذا سكت العالم فلم يُنكر ما ظهر، ولم يأمُر بما تُرِك؟ وقد أخذ الله مِيثاق الذين أوتوا الكتاب ليُبيِّننه للنَّاس ولا يكتمونه.

٧ ـ اتقوا الله فإنكم في زمانٍ رقَّ فيه الورع، وقلَّ فيه الخشوع، وحمل العلمَ مُفسِدوه فأحبوا أن يُعرفوا بحمله، وكرهوا أن يُعرفوا بإضاعته، فنطقوا فيه بالهوى لما أدخلوا[1] فيه من الخطإِ، وحرَّفوا الكلم كما تركوا من الحقِّ إلى ما عملوا به من باطلٍ، فذنوبهم ذنوب لا يستغفر منها، وتقصيرهم تقصيرٌ لا يُعترف به، كيف يهتدي المستدلُّ المسترشد إذا كان الدليل حائرًا؟

أحبوا الدنيا، وكرهوا منزلة أهلها فشاركوهم في العيش، وزايلوهم بالقول، ودافعوا بالقول عن أنفسهم أن يُنسبوا إلى عملهم فلم يتبرؤوا مما انتفوا منه، ولم يدخلوا فيما نسبوا إليه أنفسهم؛ لأن العامل بالحق مُتكلِّمٌ وإن سكت.

٨ ـ وقد ذُكر أن الله تعالى يقول: إني لست كلَّ كلامِ الحكيم أتقبَّلُ؛ ولكني أنظر إلى همِّه وهواه، فإن كان همُّه وهواه لِي جعلت صمتَهُ حمدًا ووقارًا لي وإن لم يتكلَّم.

٩ ـ وقال الله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة: ٥] كُتبًا.

(١) في الأصل: (دخلوا)، وما أثبته من المطبوع.

١٠ ـ وقال: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣] قال: العمل بما فيه؛ ولا تكتفوا من السُّنة بانتحالها بالقول دون العمل بها، فإن انتحال السُّنةِ دون العملِ بها كذِبٌ بالقول مع إضاعة العلم.

١١ ـ ولا تعيبوا بالبدع تزيُّنًا بعيبها، فإن فساد أهلِ البدع ليس بزائدٍ في صلاحِكم، ولا تعيبوها بغيًا على أهلها، فإن البغي من فساد أنفسكم، وليس ينبغي للطبيب أن يداوي المرضى بما يُبرئهم ويمرضُه، فإنه إذا مَرِضَ اشتغل بمرضِهِ عن مداواتهم؛ ولكن ينبغي أن يلتمس لنفسه الصِّحة ليقوى به على علاج المرضى.

١٢ ـ فليكن أمركم فيما تُنكرون على إخوانكم نظرًا منكم لأنفسكم، ونصيحة منكم لربكم، وشفقةً منكم على إخوانكم، وأن تكونوا مع ذلك بعُيوب أنفسكم أعنى منكم بعيوب غيركم، وأن يَسْتَفطِم بعضُكم بعضًا النصيحة، وأن يحظى عندكم من بذلها لكم وقَبِلَها منكم.

وقد قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: رَحِمَ الله من أهدى إليَّ عيوبي.

تُحبون أن تقولوا فيُحتمل لكم، وإن قيل لكم مثل الذي قُلتم غَضِبتُم.

تجدون على الناس فيما تُنكرون من أمورهم، وتأتون مثل ذلك، أفلا تُحبون أن يُؤخذ عليكم؟

١٣ ـ اتهموا رأيكم ورأي أهل زمانكم، وتثبتوا قبل أن تكلَّموا، وتعلموا قبل أن تعملوا، فإنه يأتي زمانٌ يشتبه فيه الحق والباطل، ويكون المعروف فيه منكرًا، والمنكر فيه معروفًا، فكم من

مُتقرِّبٍ إلى الله بما يُباعده، ومُتحبِّب إليه بما يُبغضه عليه، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ الآية [فاطر: ٨].

١٤ ـ فعليكم بالوقوف عند الشُّبهات حتى يبرُز لكم واضحُ الحق بالبينة، فإن الداخل فيما لا يعلمُ بغير علم آثمٌ، ومن نظرَ للهِ نظرَ اللهُ تعالى له.

١٥ ـ عليكم بالقرآن فَأْتَمُّوا به، وأُمُّوا به، وعليكم بطلبِ أثرِ الماضين فيه.

١٦ ـ ولو أن الأحبار والرهبان لم يتقوا زوال مراتبهم وفساد منزلتهم بإقامة الكتاب[١] وتبيانه ما حرَّفوه ولا كتموه؛ ولكنهم لما خالفوا الكتاب بأعمالهم التمسوا أن يخدعوا قومهم عما صنعوا مخافة أن يُفسدوا منازلهم، وأن يتبيَّن للناس فسادهم، فحرَّفوا الكتاب بالتفسير، وما لم يستطيعوا تحريفَه كتموه فسكتوا عن صنيع أنفسهم إبقاء على منازلهم، وسكتوا[٢] عما صنع قومهم مصانعة لهم، وقد أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه، بل مالؤوا[٣] عليه ورَفقوا لهم فيه.

---

(١) في المطبوع: (الكتاب بأعمالهم). وكلمة (بأعمالهم) ليست في الأصل الذي اعتمدت عليه.

(٢) في الأصل: (وسكت) وما أثبته من المطبوع.

(٣) في المطبوع: (مالأ: أعان وساعد. أي: أعانوا على صنيع قومهم، ولان جانبهم فيه خوفًا منهم على ضياع ما به يتمتعون من زخرف الدنيا: فاجتمعوا على كتمان الحق، وتساهلوا في إنكار المنكر، وناموا على الأمر بالمعروف).